دار القاسم

ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ

عبد الملك القاسم

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٣٧٣ - الرياض ١١٤٤٢ - هاتف/ ٤٧٧٥٣١١ - فاكس/ ٤٧٧٤٤٣٢

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين، أما بعد :

أخي الحبيب :

بيني وبينك نصيحة خالصة لوجهه الكريم ، فأنت ممن نُحبهم في الله ، فإن حرصك على الصلاة مع جماعة المسلمين علامة خير وطريق استقامة ، وهي استجابة لنداء خالقك وبارئك الذي ترجو رحمته وتخاف عقابه ، فاحمد الله عز وجل أنك لم تكن ممن ضيعها وفرط فيها فورد المهالك، قال ﷺ «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» [رواه أحمد وأبو داود] بل أبشر بحديث يسر قلبك ويؤنس خطوتك قال ﷺ « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم « رجلٌ قلبه معلق في المسجد» [متفق عليه] .

وأبشر - أخي المصلي - وأنت تسير في ظلام الليل الدامس بنور تام يوم القيامة كما في الحديث عن النبي ﷺ «بشِّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » [رواه أبو داود والترمذي]

إننا نفرح حينما نرىٰ تلك الوجوه النيرة تتسابق إلى بيوت الله ، فيهم كبير السن الذي أثقلته السنون ، والشاب الذي ولىٰ وجهه عن الملهيات والفتن . . وفيهم أمل الأمة : طفل لم يتجاوز العاشرة من عمره يسابق الجميع إلى الصف الأول ، فالحمد لله على هذا الفضل العظيم .

أخي المسلم : أما وقد دلف المصلون إلى المسجد فإن لنا وقفات معهم لا تخلو من نصيحة صادقة وهمسة عتاب للأحبة . . فحال المصلين اليوم يجب الوقوف عندها ؛ لأننا نرىٰ مظاهر تسيء إلى الصلاة ، ومن أبرزها :

١- عدم الطمأنينة وتأدية الصلاة بسرعة وعجلة ونقرها كنقر الغراب .
٢- العبث بالفرشة أو الحصىٰ وتقليب العين في النقوش والزخارف .
٣- الالتفات في الصلاة ورفع البصر إلى السماء .
٤- السهو في الصلاة وعدم التركيز فلا يدري على كم ينصرف من الركعات .
٥- كثرة الهواجس والخواطر وذكر أمور الدنيا في الصلاة .
٦- العبث بالساعة والنظر إليها أو إصلاح أطراف الثوب وتحريك العباءة ورفع الشماغ وإصلاحه مرات ومرات .
٧- مسابقة الإمام في الركوع والسجود .

وهناك مظاهر أخرىٰ توحي بعدم الطمأنينة والخشوع في الصلاة يلحظها كل مصلٍ . . قد ذمها الله عز وجل في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ .

أخي المصلي . . ما أتيتَ إلى هذا المسجد إلا طاعة لله عز وجل وامتثالاً لأمره ، فما بالك تُضيع ذلك بكثرة الحركة والغفلة في الصلاة . . ألم تعلم أن الخشوع هو روح الصلاة ومادة حياتها وإنسان عينها . . وهو ثمرة الإيمان وطمأنينة النفس . وإنك ربما تنصرف ولم يكتب لك من صلاتك . إلا الشيء اليسير ؟

قال ﷺ : « إن الرجل لينصرف ، وما كتب له إلا عُشر صلاته ، تُسعها ، ثُمنها ، سُبعها . سُدسها ، خُمسها ، ربُعها ، ثلثها ، نِصفها » [رواه أبو داود والنسائي] . «ونهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب ، وافتراش السبع ، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير » [رواه أحمد وأبو داود وغيرهم]

وثبت عنه ﷺ أنه قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته : قالوا يا رسول الله : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها » [رواه أحمد] ، وروىٰ الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » . وقال ﷺ : «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتىٰ إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا» [رواه مسلم]

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه ، فصلىٰ الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، ثم قال له : «ارجع فصلِّ فإنك لم تصل » . فرجع فصلى كما صلىٰ ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال : «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» ، فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، وقال : «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» ثلاث مرات، فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني . فقال ﷺ : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن ، ثم اركع حتىٰ تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتىٰ تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتىٰ تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتىٰ تطمئن ساجداً ، وافعل ذلك في صلاتك كلها »

وروىٰ البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأىٰ رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة : ما صليت ، ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة ، مت على غير فطرة محمد ﷺ .

وروىٰ الإمام أحمد رحمه الله عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» [رواه أبو داود والترمذي] ، وفي رواية أخرىٰ : «حتىٰ يقيم ظهره في الركوع والسجود» .

وهذا نص عن النبي ﷺ في أن مَنْ صلىٰ ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان ، فصلاته باطلة ، وهذا في صلاة الفرض ، وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه .

وقال : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة » [رواه أبو داود والنسائي] .

* قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] أي خائفون ساكنون، والخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع ، والحامل عليه هو الخوف من الله ومراقبته ، والخشوع أيضاً هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل . ويروىٰ عن مجاهد أنه قال : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فمن القنوت : الركوع وطول الركو د - يعني : طول القيام - والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل .

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها . وقد ذكر الله عز وجل الخاشعين والخاشعات في صفات عباده الأخيار ، وأنه أعدّ لهم مغفرة وأجراً عظيماً .

من أحوال الخاشعين في الصلاة :

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر : إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالىٰ صلاة ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل .

هذا قول عمر بن الخطاب في صدر الإسلام ، ماذا عن واقعنا نحن اليوم ، والكثير - إلا من رحم ربي - تذهب به أحوال الدنيا كل مذهب ، فهو يصلي ببدنه ولكنه يذهب بفكره إلى الدنيا وأسواقها ، يبيع ويشتري ، ويزيد وينقص . . وما ذاك إلا من الغفلة .

قال الحسن : سمعهم عامر بن عبد قيس وما يذكرون من ذكر الضيعة في الصلاة ، قال : تجدونه ؟ قالوا : نعم ، قال : والله لئن تختلف الأسنة في جوفي أحب إليَّ أن يكون هذا في صلاتي .

أخي الحبيب : أين نحن من هؤلاء ؟ هذا **عبدالله بن الزبير** يركع ، فيكاد الرخم أن يقع على ظهره ، ويسجد فكأنه ثوب مطروح .

إننا نستغرب من ذلك الخشوع وتلك الطمأنينة وما ذاك إلا لأننا لانرىٰ هذا في واقع حياتنا، وإلا فإن **العنبس بن عقبة** كان يسجد حتىٰ تقع العصافير علىٰ ظهره ، فكأنه جذم حائط .

ونسير مع الصالحين فهذا أبو بكر بن عياش يقول : رأيت **حبيب بن أبي ثابت** ساجداً ، فلو رأيته قلت ميت، يعني من طول السجود . أما ابن وهب فقد قال : رأيت **الثوري** في الحرم بعد المغرب، صلىٰ ثم سجد سجدة ، فلم يرفع حتىٰ نودي بالعشاء

ولم يكن يشغلهم عن الصلاة شاغل ، ولم يكن بينهم وبين الله حائل ، فالانتباه مقتصر على الصلاة والخشوع لله والتذلل بين يديه .

فقد صلىٰ أبو **عبدالله النباجي** يوماً بأهل طرسوس ، فصيح بالنفير ، فلم يخفف الصلاة ، فلما فرغوا قالوا : أنت جاسوس ، قال : ولم ؟ قالوا : صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف . قال : ما حسبت أن أحداً يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه به الله عز وجل . وكان **الإمام البخاري** يصلي ذات ليلة ، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، فلما قضىٰ الصلاة ، قال : انظروا إيش اذاني .

وعن ميمون بن حيان قال : ما رأيت **مسلم بن يسار** متلفتاً في صلاته قط خفيفة ولا طويلة ، ولقد انهدمت ناحية المسجد ففزع أهل السوق لهدته وإنه في المسجد في صلاته فما التفت .

وعندما سئل **خلف بن أيوب** : ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها ؟ قال : لا أعود نفسي شيئاً يفسد عليَّ صلاتي ، قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ قال : بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ، فيقال : فلان صبور ويفتخرون بذلك ، فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة !! .

وهذا **أبوطلحة** -رضي الله عنه - صلىٰ في حائط وفيه شجر فأعجبه دبسي - وهو طائر صغير - طار في الشجر يلتمس مخرجاً ، فأتبعه بصره ساعة ، ثم لم يدر كم صلىٰ ؟ فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة ، ثم قال : يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت .

* قال القاسم بن محمد : غدوت يوماً ، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة - رضي الله عنها - أُسلِّم عليها ، فغدوت

يوماً إليها فإذا هي تصلي الضحىٰ وهي تقرأ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧] وتبكي وتدعو وتردد الآية ، فقمت حتىٰ مللت وهي كما هي ، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت : أفرغ من حاجتي ثم أرجع ، ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو .

وعن حاتم الأصم رحمه الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتىٰ تجتمع جوارحي ، ثم أقوم إلى صلاتي ، وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي ، أظنها اخر صلاتي ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخضع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمها ، وأنصب القدم اليمنىٰ على الإبهام وأتبعها الإخلاص ، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا ؟

وهذه وصية بكر المزني تنادي بالحرص على الصلاة وإتمامها على وجهها الصحيح إذ قال : إذا أردت أن تنفعك صلاتك ، فقل : لا أصلي غيرها .

ورغم تلك العناية بالصلاة وشدة المحافظة عليها فإن عثما ن بن أبي دهرش قال : ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله تعالىٰ من تقصيري فيها .

إخواني . . لله أقوام امتثلوا ما أمروا ، وزجروا عن الزلل فانزجروا ، جنَّ عليهم الليل فسهروا ، وطالعوا صحف الذنوب فانكسروا ، وطرقوا باب المحبوب واعتذروا ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١١] .

ولكن !! كيف السبيل إلىٰ الخشوع في الصلاة ؟ وما هي الوسائل التي تعين على ذلك ؟ هناك - أخي المصلي - أسبابٌ يرجىٰ لمن فعلها أن يرزق الخشوع في الصلاة وهي على قسمين :

أولاً : أسباب لا تتعلق بالصلاة ؛ وهي :

١- توحيد الله عز وجل في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته . ٢- تعظيم جناب الرب تبارك وتعالىٰ والإخلاص له ومراقبته في السر والعلانية . ٣- تجريد الاتباع للرسول ﷺ . ٤- تقوىٰ الله بفعل المأمورات وترك المحظورات .

٥- أكل الحلال الطيب والبعد عن الحرام وتجنب الشبهات . ٦- الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل بأن يرزقك الخشوع .

٧- صحبة الخاشعين ومسايرتهم .

ثانياً : أسباب تتعلق بالصلاة ، منها :

١- اجمع نفسك وأحضر قلبك قبل الدخول في الصلاة . ٢- استشعار عظمة مَنْ ستقف أمامه وهو الله عز وجل .

٣- الرجاء في الحصول على ثواب الصلاة كاملا . ٤- إحسان الوضوء ، وعدم ترك الأعقاب ، وعدم الإسراف .

٥- تهيأ قبل الدخول في الصلاة «فلا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان» [رواه مسلم] ، وليكن المكان مهيأ للصلاة .

٦- الحذر من التهاون في أداء الصلاة مع الجماعة والسعي لها مع الأذان .

٧- لا تدع النوافل وبخاصة الرواتب كالوتر وسنة الفجر ، وعليك بقيام الليل .

٨- تفكر في معاني الآيات والأذكار التي تقرأها وترددها .

٩- لا تتعجل في صلاتك ، ولا تكن الصلاة أهون شيء عندك تؤديها كيفما كان .

١٠- التأدب في الصلاة بعدم الحركة أو الالتفات أو العبث المنهي عنه .

١١- التزم بأحكام الصلاة وآدابها ، واجعل نظرك في موضع سجودك قال ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي» [رواه البخاري] .

١٢- تابع الإمام ؛ فإنما جعل الإمام ليؤتم به .

١٣- فرغ قلبك من شواغل الدنيا . فهي كلها بما فيها من فتن وشواغل لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

١٤- تجنب الصلاة في الأماكن التي فيها آلات اللهو أو التصاوير أو تشويش أو أصوات ولغط .

١٥- صلِّ صلاة مودع فكل من نعرفهم رحلوا ، وأنت لا بد منهم .

أخي المسلم :

قال ﷺ : «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يُؤْتِ كبيرة ، وذلك الدهر كله» [رواه مسلم] .

جعل الله لنا من العمل أصوبه وأخلصه ومن الأجر أتمه وأكمله . اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن دعاء لا يستجاب له ، اللهم تجاوز عن سيئاتنا واغفر لنا ولوالدينا . ولجميع المسلمين ، وصلى الله على نبينا محمد ﷺ .